



-1-

{ولن ترضى عنك اليهودُ ولا النصارى حتى تتبع ملئهم}... هذه الآية هي أكثر ما ردّ به خصوم الأحرار على المقالتين الأخيرتين اللتين نشرهما مسؤول العلاقات الخارجية في الحركة، واستدلّلُهم بها يدل على أنهم لم يفهموا ما كتب في المقالتين. إن الخطأ الكبير الذي وقع فيه هؤلاء العازلون الساخطون جمِيعاً هو أنهم افترضوا لتلك الكتابات هدفاً خيالياً، ثم حاكموه فأدانوه وجرّموا أصحابه، ولو أنهم أنصفووا لما ارتكبوا هذا الخطأ الساذج.

من قال إن الأحرار حاولوا استرضاء أمريكا وبريطانيا بالمقالتين؟ لو كان رضا هاتين الدولتين هو الهدف فإن المقالتين لا تستحقان الخبر الذي كتبنا به، وهي محاولة محكوم عليها بالفشل قبل أن تبدأ. وهل تبلغ السذاجة بقيادة كبرى الحركات الجهادية في سوريا أن تظن أنها ستدفع الإدارة الأمريكية والحكومة البريطانية ببعض كلمات؟ هذا محال ولا يظنه عاقل.

-2-

إن حركة أحرار الشام تعلم (كما يعلم كاتب هذه السطور وقراؤها) أن أمريكا عدو ماكر لثيم، وقد كنتُ -ولا فخر- من أوائل الذين حذروا من المؤامرة الأمريكية على الثورة السورية، منذ عام 2011، ولكنني لم أدعُ في أي يوم إلى قتال أمريكا ولا دعا إلى قتالها الأحرار، ولا أحد في الثورة السورية انضم إلى الجبهة العالمية لقتال اليهود والصلبيين، لأننا نعلم أنَّ

إعلان الحرب على أمريكا حماقة وتحميل للأمة ما لا طاقة لها بحمله، ونعلم أن الثورة السورية تملك من الأعداء ما يكفي ويزيد عن الحاجة، فهي لا تسعى إلى استعداء المزيد.

نعم، نعلم ونقول إن أمريكا هي العدو، ليس لعلن عليها الحرب في البر والبحر، بل لنحذر مكرها بنا وبثورتنا، أخذًا بالمبادر القرآن العظيم {هم العدو فاحذرهم}. لم يقل "فقاتلهم"، بل قال "احذرهم" فحسب، ليس لأن قتالهم غير ممكن بإطلاق بل لأنه يضر أكثر مما يفيد. وكذلك قتال أمريكا اليوم، وهذا هي "القاعدة" قد حشدت وتفرغت لقتالها منذ ربع قرن فلم تزد على أن تسببت في تدمير بلدان المسلمين، ولو فقهت لعلمت أن الله لا يكلف الأمة ما لا تطيق. فإذا لم تفقه "القاعدة" هذه القاعدة، فهل تلام حركة أحرار الشام لأنها فقهتها وأرادت أن تقصير طريق المحنّة وأن تجنب سوريا وأهل سوريا المزيد من الكوارث والأهوال؟

-3-

إن السياسة لا تقوم على المحبة والرضا، فلا يطلب من يمارسها من الطرف الآخر أن يحبه ويرضى عنه، ولا يسعى إلى هذا الهدف الخيالي أصلًا إلا إذا كان من أكثر الناس سطحيةً وسذاجة. إنما يسعى السياسي الحاذق إلى تحقيق مصالح قومه بقدر الواسع ودرء ما يمكن درؤه من المفاسد، وذلك من خلال استغلال التناقضات الإقليمية والدولية، واستثمار المصالح المشتركة بين بلده وسائر البلدان، وتحريك قوى الضغط الشعبية في تلك البلدان، والتأثير في قواها المجتمعية والسياسية وفي مراكز صنع القرار.

إن العمل السياسي مكملاً للعمل العسكري، وكما أن للعمل العسكري حدوداً شرعية لا ينبغي على المجاهد المسلم تجاوزها فكذلك العمل السياسي، له حدود شرعية لا يجوز للسياسي المسلم أن يتتجاوزها. ومن أهم ما يُطلب من الاثنين الوفاء للثورة وحماية مبادئها وأهدافها الكبرى، فهل يستطيع أحدٌ أن يستخلص من مقالتي لبيب النحاس ما يتراوح الحدود الشرعية أو يتنازل عن شيء من المبارئ والأهداف؟

-4-

إن الحروب تصنع الشروط الالزمة للنصر، ولكن الحصاد لا يكون إلا في أروقة السياسة وعلى طاولات المفاوضات. لقد انتهت حرب كونية استمرت ست سنين وأفنت ستين مليون نفس على الطاولات في يالطا، وحققت إسرائيل نصرها الحقيقي على الطاولات في رودس بعدما حطمته جيوشَ العرب في تمثيليات سُمِّيت زوراً بالحروب. وعاجلاً أو آجلاً ستُحسَّم ثورتنا وتُقال الكلمة الأخيرة فيها على طاولات مشابهة، وسوف تكون حاجتنا إلى الخبرة والكفاية السياسية حينها ك حاجتنا إلى الخبرة والكفاية العسكرية اليوم، فلنبدأ ببناء الكوادر السياسية وتطوير العمل السياسي قبل أن يدركنا الوقت ويفوت الأوان.

علينا أن نتعلم استخدام أدوات السياسة كما تعلمنا استخدام أدوات الحرب، فإن العمل السياسي جزء من المعركة لا يسعنا الزهد فيه وتركه للآخرين، وما أكثر ما نجحنا في الحرب لأننا نملك الشجاعة والإقدام، وما أكثر ما خسرنا في السياسة لأننا هبناها فاجتنبناها، أو لأننا خضنا في بحرها اللجي بلا إعداد وتدريب.

وها نحن اليوم نسلك هذا الطريق بحذر وننقل فيه الأقدام كمن يمشي في حقل الألغام، ففيه اللوم وعلام تجرد علينا الأقلام؟ لقد أثبتت "القاعدة" أنها لم تنجح في السياسة قط ولم تكسب حرباً ولم تحرر بلداً من بلدان المسلمين، فكفوا - يا منظريها - عن أحرار سوريا وكفوا عن "أحرار الشام"، فإنهم لم يدخلوا ثورتنا في الميدان ولن يدخلوها في أروقة السياسة إن شاء الله.

الزلزال السوري

المصادر: